



نحو التريز الفيزي

هذا أستاذ

للأستاذ عزيز أحمد فهمي



— هل نستطيع أن تساعدني على ترشيح صاحب ديوان
(الجدول) ليكون أستاذاً في كلية الآداب ؟

— ما ديوان الجدول هذا ، ومن صاحبه ، وأين هو ،
وما الذي يميزه على غيره حتى نطلب له أن يكون أستاذاً في كلية
الآداب عندنا ، وأنت تعرف أن للأستاذية فيها شروطاً ، منها ،
أن يكون الأستاذ حاصلاً على الدكتوراه ؟

— ديوان الجدول هو مجموعة من شعر إيليا أبي ماضي ،

والله كرى ، ولو سقطت هذه الكلمة من الشعر لسقط كل الشعر
ولسقط معه رأينا في العوامل التي عملت في شعر « على طه » بعد
رحلته إلى أوربا ، لو قال : (من مصر) وسكت ، أو أتى بذلك الحشو
الذي لا معنى له ، والذي يكثر في شعر الضملاء ، لانساح عن الشعر
إلى سؤال يتلقاه المرء من فضولي قائم على طريق السابلية ، وجواب
استخرجه الفضول والأجاجة ... ثم هي بعد ذلك التفات بخيل
لك منه أن الشاعر قد رد فقال : من مصر ، ثم انقلب بوجهه
إلى مصر ، وتلقى دمة بموئها بيده ويمسح أثرها بمنديله — في هذا
الجو للرح المأبث اللاهي — وهو يقول : (غريب ههنا)

هذا ... وقد أخذت هذا الموضع وحده من القطعة لشهرتها
الآن ولتندبر من يسمعون فإن فيها من أمثال ذلك كثير ، مما هو
دليل الشاعرية الناضجة التي لا تخفى ممانها . ولو أخذت سائر
شعره على هذا الأساس الذي كشفنا لك عنه في حديثنا عن الشعر
لوقفت على روائحه التي هي روائحه

نحور محمد شاكر

وهو به يستحق أن يكون أستاذاً في كلية الآداب ، أما
الدكتوراه فشهادة بمنحها الفارثون الكبار للفارثين الصغار ،
ولكن إيليا أبا ماضي لم يمد قارئاً ، ولا كاتباً ، وإنما هو إنسان
ينفذ من هذا الوجود المحسوس إلى ما بعده ، ثم يعود
إلى الناس بروى لهم ما رأى وما سمع وما أحس وما أدرك ...
وهو من كثرة تجواله في آفاق الكون ألم بالكثير من دروبه ،
وأحاط بالكثير من طرقاته ، فهو يستطيع أن يكون رائداً لجاهل
من التلاميذ تتبعه ، يرشد منهم من يسترشد ، ويوجه منهم من
يحار ، ويطلع منهم من يرتبك ، ويهدي منهم من يضل ... وهذا
هو عمل الأستاذ . أستاذ الأدب

— هذا عمل الفارغ من حياته المستغنى عن عمره وليس
عمل أستاذ الأدب

— ولن يكون الإنسان أستاذاً للآداب إلا إذا فرغ من
حياته واستغنى عن عمره ، واشترى بهذه الدنيا شيئاً آخر ، هو
الأدب . والأدب ليس كالتحسين كلاماً منعماً مزوقاً لبعض
الناس قدرة على تخليقه ، والبعض الآخر عاجزون عنه ، وإنما
الأدب تربية نفسية يجاهد اليتيم في تقويم نفسه بها ، وغير اليتيم
يسعد بما يربيه عليه أبوه أو أستاذه . واليتامى مساكين ، قليلاً
ما يوفقون إلى المندى وكثيراً ما يفلت زمام أنفسهم من أيديهم
فينطلقون في الحياة ونفوسهم مشردة معربة تنغمس في الرذيلة
حيناً ، وتتخبط أحياناً بين الرذائل والفضائل ، ولكنها لا تستقر
على فضيلة إلا ما فرضه عليها مجتمع اليتامى الشردين الذين يحيطون
بها ، وليس يفرض هذا المجتمع كثيراً من الفضائل ، فهو
كجتمعات الشردين والمشبوهين من اليتامى والمساكين الذين
ترينهم ملقنين في الشوارع ...

— وهل فرغ إيليا أبو ماضي من حياته حقاً وتوفر على
تأديب نفسه ، فهو إذن قادر على أن يؤدب غيره ؟ وإذا كان قد
فرغ من حياته حقاً فن أين يأكل ... وكيف يعيش ؟

— إنه يأكل كما تأكل الطير في السماء ، ويعيش كما يعيش
الحر الكريم ؛ منذ سنوات وسنوات هبط مصر وأراد أن يستقر
فيها ، فأتخذ لنفسه محلاً يبيع فيه السجائر والدخان ووقع عليه

أفريقا إلى أمريكا فكيف تقول إن هذا رجل فرخ من الحياة واستغنى عن مادتها ؟

— للبلبل بطير من فنن إلى فنن يقطع رزقه ، ولكنه لا يقضى كل وقته في البحث عن طعامه ، وإنما يقضى أغلبه في الشدو والترتيل فهما طبعه وقد اختص بهما ، وليس إلا كل من طبعه إلا كما هو من طبع الخلائق ، وليس الشدو والترتيل من خصائص غيره إلا من كان ثلث طرازه من الخلائق . فأبو ماضي لم يجد رزقه في الشام فطار إلى مصر ، فوجد فيها الرزق مقدورا عليه فطار إلى أمريكا ، فوجد فيها رزقا مباحا طاهرا قديكون كثيرا وقد يكون قليلا ولكنه ثقي غير محسود ، فلا يجب إذا اطمأن أبو ماضي هناك ... ولكن ثقي أنه يحن إلى الشرق ، ولعل أغلب حنينه يحتاج إلى مصر فهو يقول :

وطنان أشوق ما أكون إليهما مصر التي أحببتها وبلادي
ومواطن الأرواح يعظم شأنها في النفس فوق مواطن الأجساد
حرصى على حب الكفانة دونه حرص السجين على بقايا الزاد
بلد الجلال خفيه وجليه واثقن من مستطرف وتلاد
عرضت مواكبها الشعوب فلم أجد

إلا بمصر نضارة الآباد ...

— ولكن هذا شعر يحير المعنى قريب اللفظ ... أليس له شعرا أحلى ؟

— له ... له كل هذا اللبوان ألقى في يدي ، وله غيره ...
وبارك الله لصاحب الرسالة الذي ينشر فيها بين الحين والحين شيئا من شعره ، وكما أريد أن أقول أيضا بارك الله لوزارة المعارف لو أنها عطفت على تلاميذها وطلابها ويسرت لهم شيئا من هذا الشعر — ولكنه لا يزال حيا يرزق ، والدولة لا تخلد إلا من فارق الحياة ...

— قال الله ولا تألك ، فوزارة المعارف تخلد كلام الأستاذ الجارم الموثق بوزارة المعارف ، ووزارة المعارف تخلد كلام الأستاذ أحمد أمين عضو لجان وزارة المعارف ، ووزارة المعارف تخلد كلام الدكتور طه حسين بك مراقب الثقافة بوزارة المعارف ، ووزارة المعارف تكاد لا تلتفت إلا لمن كان في وزارة المعارف ، منذ حسن باشا

أنطون الجليل بك فرآه يكتب شعرا في الدكان ، فقرأ شعره فأعجبه فنشره في مجلة كان يصدرها ، فقامت قيامة الأدباء والشعراء المصريين عليه فأوسعوه نقدا ، وأوسعوه تجريحا ، وتناولوا ألفاظه ولفته وراحوا يناقشونه في هذه الفاء ما موقعها من الإعراب ، وهذه النون لماذا هي مفتوحة وهي في الأصل مضمومة ، وهذه الهمزة ، لماذا قطعها وهي همزة وصل ؟ وتكاثروا عليه ، وكان في مصر إذ ذاك أمير للأشعر هو المرحوم أحمد شوقي بك ، وكان رحمه الله يستطيع أن يقول كلمة ينفذ بها إيليا من بين برائن هؤلاء الذين ينقدون الشعر بغير ما يصلح نقدا للشعر ، وكان رحمه الله يستطيع أن يقول لهؤلاء النقاد : إني أربأ بالشعر أن يعيبه هذا القدي تروون مما يعيب اللغة والعروض والنحو وسائر ما يحصل بالقراءة والدرس ، وإني أرفع الشعر فوق هذا كله ، فهو حديث النفس وللنفس من الله وليس لله لسان مما تنطق به .
كان شوقي بك رحمه الله يستطيع أن يقف من إيليا هذه الوقفة ولكنه — رحمه الله — كان مشغولا بشعره هو وب نفسه هو ، وبالملك المريض الذي أرسله فيه الزمن ، فلم يشعر مطلقا بالذي حدث لأبي ماضي ، ولم يطق أبو ماضي سبرا على هؤلاء المهاجرين فشد رحاله إلى أمريكا ، حيث يتكلم الناس بالإنجليزية ، وحيث لا عرب إلا الباحثون عن الرزق ، والخارجون من أوطانهم وأيديهم صفر ، ثم استطاعوا هناك في أشد معامع الحياة ازدهاما واصطراعاً أن يجمعوا المال وأن يمشوا به كراما ، لا ذل يرهقهم إلا الغربة ولا مستمبد يزعجهم عن الأرض ؛ وإنما لكل امرئ هناك ما سعى ، ولقد سعى أبو ماضي فأنشأ هناك مجلة اسمها للحمير ويقولون : إنه أنشأ متجرا للدخان والمجاري أيضا ؛ وزاح بعد ذلك يتأمل الدنيا ويرنو إلى الآخرة ، ويقعد على الورق ما يتكشف له من الحقائق ، وما يلح من المهمات ، ويسجل على نفسه بلوغها وقصورها ، وخيرها وشرها ، وهداها وحيرتها أفلا يصلح هذا أستاذاً لأدب النفس ؟ فإن كان لا يصلح ، فمن ذا الذي يصلح ؟

— ولكن هذا الذي رويته من حياته يدل على أنه من رجال الدنيا المعاصرين الذين يجرون وراء الرزق والسادة من آسيا إلى

يتعلم الحكمة فكما تعلم حكمة تفتت له من ورائها حكمة ، فهو
لا يزال كما تعلم علماً تبين له في نفسه جهل حتى يقول :

إنني جئت وأمضي ، وأنا لا أعلم
أنا لنز ، وذهابي كمجيئي طسم
والذي أوجد هذا اللز لنز مبهم
لا يجادل ... ذوالحجي من قال لي ...
لست أدري ...

— لعله كافر ...

— الكافر لا يقول للناس :

لو دخلتم هياكل الإلهام
وسرحتم في عالم الأحلام
واجتليتم سر الخيال الساي
وعرفتم كما عرفنا الله لخرتم أماننا ساجدين
— إذن فهو مؤمن ...

— ومسلم في مسيحيتيه ، لو عرفته لوافقتني على ترشيحه
للاستاذية في كلية الآداب يعلم طلابها الإيمان والحكمة شمرأ ،
ويؤدب نفوسهم أدباً ، فإذا تعذر هذا أو صعب فلا أقل من أن
يمرض على التلاميذ ديوانه . عزيز أحمد فهمي

صاحب كتاب الطبيعة ، وعبد الفتاح سبري باشا ، وكل ما في الأسر
أن الصور تبدل وتغير ، وأن الكلام يتلون ويتشكل ، ولكن
الأسر لا يزال كما كان : موظفون يؤلفون كتباً . ثم يؤلفون
لجاناً . فتقرر اللجان الكتب ...

— إحصاء . لا تقل عن هؤلاء الأساتذة الأجلاء إنهم أصحاب
أهواء ولا مطاعم فهم الأدباء الذين في البلد ، وهم الشعراء
وهم الكتاب ، فإذا لم تأخذ الوزارة كتبهم فأى الكتب تأخذ ؟
— إن أساتذتنا هؤلاء هم أساتذة الجامعة ، فأحرى بهم أن
يوفرُوا أنفسهم للعلم ؛ لأنهم على العكس من إيليا أبي ماضي ...
هو يتاجر في الدخان ليأكل منه وليفرغ للأدب لا يذل نفسه ،
وهم يتاجرون بالأدب ليأكلوا منه لا يعززون بأنفسهم ،
ولا يشكرون الله على ما يسر لهم من وظائف ...
— نك أنك غطلي ، وثق أنهم أرفع نفعا مما تحسب ،
وثق أنهم يتجشمون في سبيل تثقيف البلد ما أسأل الله أن يجزيهم
عنه خيراً ...

— آمين ... إسمي أبا ماضي يصف الشاعر :

أتقولون إنه مجنون
أتقولون إنه مفتون
أتقولون شاعر مسكين

كم ملك كم قائد كم وزير ود لو كان شاعراً مسكيناً
عاش ملين فلم يكن مذكوراً
وهو ميروس كالشيخ كان ضريراً
ولقد مات ابن برد فقيراً
أرايتكم كما رأى الممبان أفلستم بنسورهم تهتدونا ؟
— هل هو زاهد ؟

— نعم ، وهو يقول في الزهد :

قيل : أدري الناس بالأسرار سكان الصوامع
قلت : إن سح الذي قالوا ، فإن السرائع
عجبا ! كيف ترى الشمس عيون في براقع
والتي لم تبرقع لا تراها ؟ ...

لست أدري ...

— إذن فهو يسخر من الزاهدين ...

— إنه لا يسخر من شيء مطلقاً وإنما هو متطلع إلى الوجود

الفصل في الغاية

في تحفة سيدنا محمد الموحدة

وهو معجزة أبي الهول المعروية في السر

لم يبق منه إلا نسخ محدودة
فاطلب نسختك قبل نفاذها

يباع في إدارة الرسالة ومنه ٣٠